JOURNAL OF THE
ARAB AMERICAN UNIVERSITY
مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

اللغة بوصفها مفتاحاً لفهم الأساطير والميتافيزيقا؛ دراسة بينية

أحمد الجنادبة
جامعة زايد، كلية الدراسات المتداخلة التخصصات، الإمارات- أبوظبي
الباحث المراسل: Ahmadaljanadbah@gmail.com

Received: 13/1/2025. Revised: 17/2/2025. Accepted: 18/3/2025 Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.2

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا، من خلال بحث تأثير اللغة في تشكيل الأساطير وتفسيرها عبر الثقافات. واستندت إلى إشكالية نقص الأبحاث التي تربط بين اللغة والأسطورة والميتافيزيقيا، وإلى توضيح دور الأساطير في تطور اللغة، ونقل المعاني الرمزية والفكرية. ومن الأسئلة الرئيسة التي طرحتها الدراسة: كيف تسهم اللغة في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا؟ وكيف تؤثر الأخيرة في إغناء مفردات اللغة ومدلولاتها الثقافية؟

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مركزًة على الأساطير العربية وغير العربية، ودراسة تطور المفردات والأساليب اللغوية المرتبطة بالأساطير والميتافيزيقيا. وتوصلت إلى أن الأساطير والميتافيزيقيا تمثل وسيلة فعّالة لنقل القيم الثقافية وتشكيل الهوية الثقافية الجماعية عبر اللغة. وأظهرت النتائج تأثير الأساطير المباشر في تطور اللغة، بدمج مفردات وأساليب لغوية خاصة بها، واستخدام اللغة بشكل رمزي يعكس الأفكار المجردة والمعتقدات الدينية والفلسفية. كما تبين أن الأساطير تعدّ جزءًا من الفلكلور الشعبي، وأن اللغة تسهم في حفظها ونقلها بين الأجيال. وختامًا، أبرزت الدراسة تفاوت التعبير اللغوي للأساطير بين الثقافات المختلفة، ما يعكس تباين السياقات الثقافية في تفسير الأساطير.

الكلمات *المفتاحيّة*: الأساطير، الميتافيزيقيا، الفلسفة، الوجود، الماورائيّات، اللغة.

1. المقدّمة

ارتبطت كثير من الحرف والمهن ارتباطًا وثيقًا باللغة؛ فنجدُ اللغة تدخَّلت في التّجارة والاقتصاد والسّياسة والإعلام، وغيرها من العلومِ المختلفة؛ ما جعلَ مِنْ حصْرِ هذه المجالاتِ أمرًا فيه من التّعقيد ما يؤرّقُ الفِكْرَ ولا يكتفي من الجهد باليسير، وهو ما سنسعى إلى تأطيره في هذه الدراسة.

والهدفُ مِنْ هذه الدّراسة إلقاءُ الضّوءِ على نقطةٍ تُمثِّلُ الأساسَ لكلِّ إنسان، وهي أهمّيةُ اللغةِ في حياة الإنسان، وليس المقصود هنا أهمّيَّة اللغةِ من ناحيةِ العلمِ فقط، بل من ناحيةِ الفكر والإدراك بوصفهما ركيزتَين لا يمكن للمرء أن يستغني عنهما في حياتِه، حتَّى ولو كان على قدرٍ بسيط من المعرفة.

ومَن يتأمَّل العلاقة الجامعة بين اللغةِ والحقول المعرفية الأخرى، سيجد أنَّ هناك نوعَين من الوشائج التي تربط بين هذه العلاقة؛ أحدها يتمثَّلُ في هذا الشّكلِ المُكوّنِ لها، والآخرُ يكمنُ في المضمون، أو الجوهر الذي من خلاله تبينُ الحقيقة. وإذ ينظرُ الاقتصاديون، على سبيل التّوضيح، إلى اللغةِ بوصْفِها مُنتَجًا يُمكِنُ الاستفادةُ مِنه، وكذلك الإعلاميُّون والسّياسيُّون (Kalmas ، 1978، ص10) ، فلا يخفى علينا أنَّ هذه النظرةَ لم تأتِ من اللاشيء، كما أنَّها تستوجبُ مِنَّا تسليط الضّوءِ عليها لفهم أبعادِها، والتّحقّق من شكلِ التّغييرِ الذي طرأ على هذه النّظرةِ التي جعلت من اللغةِ مأربًا يسعى إليه كثيرٌ من المؤثّرين في المجتمع، ويرغبُ أهلُ العلمِ في جميعِ ميادين الأبحاثِ وساحاتها أن يصلوا إلى رؤيةٍ له من خلالِ نظرةٍ تخصّصيةٍ في مجالاتِهم.

وإذا كان منطقيًّا أن يفرضَ الأقوى سياستَه على الأضعف، فمِنَ الطبيعيّ أن تَلقى بعضُ اللغاتِ رواجًا عن غيرها، فما الأسبابُ التي تدعو إلى رواجِ لغةٍ عن أخرى؟ وكيف يمكِنُ للغةٍ أن تحظى بما يُسمَّى بالعالمية؟ هل يرجعُ الأمرُ إلى شيءٍ مميَّزٍ في هذه اللغة، أم أنَّها مجرَّدَ أطروحاتٍ تختفي وراءَها كثيرٌ من الحقائق؟ هل هو علمُ الحاجة، أم حاجة العلم؟

كلُّ هذه الأسئلةِ لا يمكنُ تركها من دون إجابة، ولا يُمكِنُ الوصولُ لإجاباتها من دون البحثِ القريبِ والمباشر، كما أنَّ الثورة

العلمية منذ مطلع القرن الماضي، خاصةً مع ظهورِ علمِ اللسانيّات، تسبّبت في النّظرِ إلى كثيرٍ من العلومِ من خلال مناظيرَ مختلفةٍ لا تنتمي إلى علمٍ واحد، ولا يمكِنُ أن نصلَ إلى رابطٍ فيما بين هذه الرّؤى إلّا من خلالِ اللّغة التي أصبحت هدفًا ومسعى يكشفُ الكثيرَ من الستارات التي أُسْدِلَت لقرونٍ طويلةٍ حولَ طبيعة الإشكاليّة الإنسانيّة الكُبرَى، مثل: البحثِ في دور الجينات في تكوينِ اللغة.

هدف الدّراسة: تهدف هذه الدّراسة إلى كشف العلاقة التّفاعليّة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا، وكيفيّة تأثير كلّ منهما في الآخر، كما تُركّز على فهم دور اللغة في تشكيل الأساطير ونقلها، وكيف تؤثّر الأساطير والميتافيزيقيا في اللغة وتطوّر مفرداتها ومدلولاتها الثّقافيّة، كما تهدف إلى كشف دور الرّموز اللغويّة في الأساطير والميتافيزيقيا في التّعبير عن القيم والمعتقدات الاجتماعيّة والثّقافيّة للمجتمعات.

أهمّيّة الدّراسة: تسهم الدّراسة في إغناء حقل الدّراسات اللغويّة والأدبيّة من خلال تسليط الضّوء على الرّوابط العميقة بين اللغة والأساطير والميتافيزيقيا؛ ما يُمكّن من تحقيق فهم أعمق لتطوّر اللغة عبر العصور، كما تساعد في توضيح دور الأساطير والميتافيزيقيا في تشكيل الهويّة الثّقافيّة للمجتمعات، وذلك من خلال استعراض الرّموز اللغويّة والقيم المرتبطة به، كما تقدّم الدّراسة منظورًا جديدًا لفهم الأساطير والميتافيزيقيا من خلال التّحليل اللغويّ؛ ما يفتح المجال لدراسات مستقبليّة، تجمع بين علم اللغة والدّراسات الثّقافيّة والأنثروبولوجيا، وتُبرز الدّراسة أهمّيّة دراسة الأساطير والميتافيزيقيا ودورهما في حفظ التّراث الثّقافيّ؛ ما يعزّز من جهود الحفاظ على التّراث غير المادّيّ ونقله للأجيال المقبلة.

مشكلة الدّراسة: تُعَدُّ العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا علاقة معقّدة ومتشابكة؛ فتؤثّر اللغة في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا من خلال الرّموز والتّعابير اللغويّة، فيما تسهم الأساطير والميتافيزيقيا في إغناء اللغة بالمدلولات والمعاني الثّقافيّة والرمزيّة العميقة؛ لذا فإنّ مشكلة هذه الدّراسة تكمن في التّساؤل عن مدى تأثير الأساطير والميتافيزيقيا في تطوّر اللغة ودورها في تشكيل الهويّة الثّقافيّة للمجتمعات، وكيف تسهم اللغة في نقل الأساطير وإبقائها عبر الأجيال.

منهج الدّراسة: تعتمد هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، من خلال تحليل العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا عبر جمع البيانات وتفسيرها لتوضيح العلاقة بينها، ودورها في التّعبير عن القيم والمعتقدات الثّقافيّة.

مصطلحات الدّراسة

1. اللغة: نظام من الرّموز والإشارات يتواصل من خلاله البشر، فتُستخدم الكلمات والتّراكيب للتّعبير عن الأفكار والمشاعر والمعتقدات، وتُعدّ اللغة وسيلة أساسية لنقل الثّقافة والمعرفة عبر الأجيال، وتنعكس فيها أفكار المجتمع وقيمه.
2. علم الأساطير: فرع من فروع الدّراسات يهتمّ بدراسة الأساطير والنّصوص القديمة التي تتناول قصصًا مقدّسة أو رمزيّة، تهدف إلى تفسير الظّواهر الطّبيعيّة والاجتماعيّة، وتقديم نموذج للعلاقات بين الآلهة والبشر في الثّقافات المختلفة.
3. الأسطورة: قصّة تقليديّة أو رواية، تحتوي على عناصر خارقة للطّبيعة أو رمزيّة، وتُستخدم لشرح قضايا الكون والمجتمع، وتعكس ـ عادةً ـ معتقدات المجتمع وقيمه، وتعدّ الأساطير جزءًا هامًّا من التّراث الشّفويّ والثّقافيّ للشّعوب.
4. الرّمز: عنصر أو شكل، يستخدم للدّلالة على معنى آخر، يتجاوز المعنى الحرفيّ، ويستخدم في الأساطير لنقل المفاهيم والمعتقدات، والرّموز في الأساطير غالبًا ما تحمل معانيَ ثقافيّة عميقة تساعد في إيصال الأفكار المجرّدة بطرق ملموسة.
5. الميتافيزيقيا: هي فرع من فروع الفلسفة التي تتعامل مع مسائل ما وراء الطّبيعة؛ أي المواضيع التي تتعلّق بما هو أبعد من الظّواهر المادّيّة والتّجريبيّة، وتهتمّ الميتافيزيقيا بدراسة طبيعة الواقع، والوجود، والكون، والمفاهيم المجرّدة مثل الزّمن، والمكان، والسّببيّة، والرّوح، وتتضمّن الميتافيزيقيا ـ أيضًا ـ تساؤلات حول ماهيّة الكائنات، وما إذا كانت هناك قوى أو كيانات غير مادّيّة، تؤثّر في العالم المادّيّ، إلى جانب العلاقة بين العقل والجسم، وتعدّ محاولة لفهم البنية الأساسيّة للوجود والمفاهيم التي تشكّل إطارًا لفهمنا للعالم.

2. الدّراسات السّابقة

تستند هذه الدّراسات إلى مجموعة منتقاة، حُددت بناء على قربها من موضوع الدّراسة الحاليّة، من الدّراسات السّابقة التي تناولت جوانب مختلفة من العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا، بما في ذلك دور اللغة في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا، وتأثير الرّموز اللغويّة، والتّأويل الثّقافيّ، ودلالات الأساطير والميتافيزيقيا في مجتمعات مختلفة.

ومن أبرز هذه الدّراسات التي تناولت الجوانب المختلفة لهذا الموضوع:

1. مشروع (فريق بحثيّ من جامعة كوبنهاجن) "اللغة والأسطورة في عصور ما قبل التّاريخ" (Language and Myth in Prehistory, 2024) هدف هذا المشروع إلى الكشف عن طبيعة اللغة التي استخدمها البشر في العصور القديمة، وكيف ارتبطت لغتهم بالمعتقدات والأساطير من خلال مقارنة المفردات اللغويّة مع الأدلّة الأثريّة والأسطوريّة، كما تناول البحث كيفيّة استخدام البشر الأوائل اللغة للتّعبير عن معتقداتهم وعقائدهم الرّوحيّة، وكان من أبرز نتائجه: التّوصّل إلى أنّه يمكن إعادة بناء بعض الأساطير القديمة من خلال مقارنة الكلمات والمفردات اللغويّة مع الأدلّة الثّقافيّة والأثريّة، كما بيّن أنّ الأساطير لعبت دورًا كبيرًا في تحديد الهويّات الثّقافيّة والجماعيّة في العصور القديمة، وأنّ اللغة والأسطورة كانتا مرتبطتين ارتباطًا وثيقًا في تشكيل الفهم الرّوحيّ والفلسفيّ للمجتمعات.

2. دراسة مور(Moori,2019): هدفت إلى دراسة العلاقة بين اللغة والميتافيزيقيا، وكيف تحدّد اللغة المفاهيم والحدود الفكريّة بين العالم المادّيّ والمعنويّ، ومن أبرز نتائجها التّوصّل إلى أنّ اللغة تمثّل وسيطًا حاسمًا في التّعبير عن الأفكار المجرّدة والميتافيزيقيّة، وأنّ الفهم اللغويّ للحدود بين العالمين يساعد في تشكيل الإطار الثّقافيّ والفكريّ للمجتمعات.

3. دراسة مولتمان (Moltmann, 2018): هدفت إلى تحليل كيفية مساعدة اللغة الطّبيعيّة في التّعبير عن الأفكار الميتافيزيقيّة، وتحديد العلاقات بين اللغة والمفاهيم المجرّدة، مثل الوجود والتّجريد. وتوصّلت إلى أنّ اللغة الطّبيعيّة تمثّل أداة مهمّة في بناء الأفكار الميتافيزيقيّة وصياغتها، وتقديم التّفسيرات الرّمزيّة للمفاهيم المجرّدة؛ ما يسهم في توسيع الفهم الثّقافيّ للفكر الميتافيزيقيّ.

4. دراسة حنون (2019): هدفت إلى تحليل الأساطير في الأدب العربيّ من خلال منطق اللغة، والبحث في كيفيّة تأثير الأسطورة في تشكيل الهويّات الثّقافيّة والنّصوص الأدبيّة، وتوصلت إلى أنّ الأساطير العربيّة لا تقتصر على الماضي، بل هي موجودة في الأدب المعاصر وتؤثّر في التّعبيرات الثّقافيّة الحديثة.

5. دراسة زيدان (2005): هدفت إلى دراسة العلاقة التّفاعليّة بين اللغة والأسطورة، وكيف تسهم الأساطير في بناء الهويّات اللغويّة والثّقافيّة، وتوصلت إلى إظهار أنّ الأسطورة تعمل أداة لغويّة لفهم الواقع وتفسيره؛ ما يسهم في تشكيل الوعي الجمعيّ.

6. دراسة سعيد (1999) هدفت إلى دراسة الأساطير في الأدب من منظور لغويّ، وتحليل كيفيّة استخدام الأسطورة أداة للتّعبير عن قضايا سياسيّة واجتماعيّة، وتوصلت إلى أنّ الأساطير تعدّ أداة فعّالة لنقل الرّسائل الثّقافيّة والسّياسيّة عبر الأدب، ويجب تحليلها لغويًّا لفهم الطّبقات العميقة للمعاني.

7. دراسة "اللغة والأسطورة "لـ إرنست كاسيرر: (Ernst Cassirer ،2009): التي حاول فيها الكشف عن العلاقة العميقة بين اللغة والميثولوجيا، ودرس كيفية تأثيرهما المتبادل في تشكيل الفكر الإنساني. ويرى كاسيرر أن اللغة والأسطورة ليستا مجرد وسائل للتعبير، بل هما أدوات تكوّن الوعي الإنساني وتسهم في بناء إدراكنا للعالم. وتعّد الأساطير نوعًا من اللغة الرمزية التي تعبر عن تجارب الإنسان وأفكاره ومخاوفه على نحو رمزي.

وألمح " كاسيرر" في دراسته هذه إلى أن اللغة والأسطورة يشتركان في قدرتهما على توليد الرموز؛ فكما أن الكلمات تمنح الأشياء معانيَ خاصة، فإنّ الأساطير تعطي تجارب الحياة صورًا رمزية تساعد المجتمعات في تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية. وبهذا تصبح الأسطورة امتدادًا للغة، تلعب دورًا في صياغة القيم والتقاليد والهويات الثقافية

8. دراسة فؤاد زكريّا (1990): هدفت إلى تحليل كيفية تأثّير الأساطير في اللغة الشّعبيّة، وكيفية توظيف الرّموز الأسطوريّة في الحياة اليوميّة من خلال اللغة، وتوصلت إلى أنّ الأساطير تلعب دورًا مهمًّا في تشكيل المفردات الشّعبيّة والمصطلحات اللّغويّة، ليتمّ توظيفها في التّعبير عن المفاهيم الثّقافيّة والجماعيّة، كما أظهرت الدّراسة أنّ الأسطورة تصبح جزءا من الذّاكرة الجمعيّة؛ وهو ما ينعكس في اللغة اليوميّة للأفراد.

2.1 موقع الدّراسة الحالية من الدّراسات السّابقة

أسهمت هذه الدّراسة في بيان كيفية تفاعل اللغة مع الأساطير في الثقافات المختلفة، وكيف تعكس الأساطير العميقة، الجذور الثقافية والدينية والفكرية للمجتمعات، وتميزت عن الدّراسات السّابقة في أنّها أظهرت النقاط الآتية:

1. الأساطير والميتافيزيقيا بوصفها وسيلة للتّعبير اللغويّ: تعدّ الأساطير والميتافيزيقيا وسيلة لنقل القيم والمعارف عبر الأجيال، فتلعب اللغة دورًا أساسيًّا في تشكيل هذه القصص وتحويلها إلى روايات حيّة، تتجاوز الحدود الزّمانيّة والمكانيّة.

2. تأثير الأساطير والميتافيزيقيا في تطوّر اللغة: من خلال دراسة الأساطير والميتافيزيقيا، فيمكن ملاحظة كيف تطوّرت بعض المفردات والتّراكيب اللغويّة عبر الزّمن، وكيف أسهمت الأساطير والميتافيزيقيا في تطوّر المصطلحات المستخدمة في الحديث عن القوى الطّبيعيّة، والآلهة، أو الكائنات الخياليّة.

3. الرّمزيّة اللغويّة في الأساطير والميتافيزيقيا: اللغة في الأساطير والميتافيزيقيا مليئة بالرّموز والمعاني العميقة، وتُعدّ الكلمات والتّراكيب اللغويّة مستودعًا للأفكار المجرّدة التي تروي قصّة الإنسان والكون، وتعكس أفكارًا فلسفيّة ودينيّة معقّدة.

4. التّفاعل بين اللغة والأسطورة والميتافيزيقيا في تشكيل الهويّة الثّقافيّة: الأساطير والميتافيزيقيا واللغة تعمل معًا لتشكيل هويّة ثقافيّة جماعيّة، فتعدّ الأساطير والميتافيزيقيا جزءًا من الذّاكرة الجماعيّة للأمّة، وتسهم اللغة في إعادة إحياء هذه الأساطير والميتافيزيقيا وفهم أبعادهما العميقة.

3. مفهوم الأسطورة

إذا تأملنا مفهوم كلمة أسطورة في اللغة، وجدنا أنّها تعني كلّ ما يُسطر أو يُكتب (الحاجّ حسن، 1998، ص16)، فالأسطورة بمفهومها الحديث والجامع يعني بعض أنواع القصص أو الحكايات مجهولة المنشأ، والتي تتعلّق بالتّراث أو الدّين أو الأحداث التّاريخيّة (الحاجّ حسن، 1998، ص17)؛ فهي عبارة عن قصص خياليّة تُحكى عن الآلهة أو كائنات بشريّة متفوّقة أو عن حوادث خارقة غير مألوفة عبر الأزمنة.

وقد نشأ علم الأساطير بهدف دراسة منشأ الأسطورة وتطوّرها من خلال دراسة أساطير الشّعوب وتراثها ومعتقداتها الدّينيّة، والتي تعتمد ـ بشكل رئيس ـ على معرفة اللغة المكتوبة والمنطوقة لهذه الشّعوب، ودراسة تراثها اللغويّ، و يتجلّى ـ هنا ـ دور اللغة في دراسة علم الأساطير (نحّاس، 2006، ص9)؛ لذا فإنّ البحث في التراث اللغوي يُعدّ عاملاً محوريًا لفهم الأساطير بشكل أكبر، وهذا يجعل اللغة جزءًا لا يتجزأ من دراسة علم الأساطير وتفسيره.

يستخدم علم الأساطير لتفسير الأحداث الطّبيعيّة وشرح الطّبيعة والإنسانيّة، وكذلك جمع الأساطير ودراستها وتفسيرها (عجينة، 2005، ص56)، فمن خلال ذلك يمكن للباحثين اكتشاف كيفية رؤية الشعوب القديمة للعالم من حولهم، وكيف حاولوا فهم التفاعلات بين الإنسان والطبيعة.

3.1 علم الأساطير والمجتمعات البشريّة

يُستخدم علم الأساطير بهدف الإشارة إلى المعتقدات الخاصّة بالحضارات القديمة وتجسيدها، من أجل منحها خاصيّة المعتقدات السّحيقة (Benton,1768,P93). ولا ندري إن كان المقصود بكلمة "تجسيد" ـ هنا ـ هو التّصوير الرّمزيّ للمعتقدات، أم أنّ المراد شيء آخر.

تمثّل الأسطورة الخاصّة سلوك الإنسان الذي يحيا داخل المجتمع، كما تعدّ مصدرًا دائمًا للمعرفة، والذي يخوض في مناقشة ثنائية مشاكل المجتمعات، مثل: الحرب والسّلام، الحياة والموت، الصّواب والخطأ، الخير والشر (*راوس* Raus ، 1968، ص45). وهكذا الأسطورة تمثّل سلوك الإنسان في المجتمع، وتعدّ مصدرًا دائمًا للمعرفة، فتناقش قضايا جوهريّة مثل الحرب والسّلام، والحياة والموت، والصّواب والخطأ، والخير والشّرّ ، ويمكن فهم تفاعلات المجتمعات البشريّة والتّعبير عن التّحدّيات التي تواجهها عبر العصور.

وفي ضوء علم الأساطير، يمكن ملاحظة أنّ الأساطير هي بمنزلة مفتاح التّحدّي والاستجابة التي أدّت إلى تكوين الحضارات البشريّة، والتي نشأت في المجتمعات البدائيّة نتيجة التّحدّي النّاشئ عن علاقة المجتمعات، مثل: السّومريّة، والمصريّة، والصّينيّة، والمايا، والأندية واليمنيّة (Toynbee ، 1955، ص87).

لقد عرفت جميع الشّعوب القديمة أو شعوب العالم القديم الأساطير، خاصّة في المنطقة العربيّة والهند والصّين وسكّان الأحراش في إفريقيا، ثمّ رصدها وسجّلها الإغريق بعد ذلك، وكذلك الغرب الذين بحثوا فيها وروّجوا لها، حتّى أصبحت مبحثًا هامًا في علم الأساطير (نجم، 2010، ص20)، ومن الواضح أنّ الإغريق والغرب هم من رصدوا الأساطير وسجّلوها؛ وهذا يعكس دورهم في توثيق دراسة الأساطير وتطويرها.

3.2 لغة الحضارات وعلم الأساطير

لقد استخدمت الحضارات القديمة الأساطير أساسا وجوديّا لتناميها واستمراريّتها، فالأساطير تعمل على شرح الحضارات، كما تمنحها بعدا دينيا يعزز قدسيتها (عربيد، 2017، ص12). ما يحول دون تّحريفها أو إلغائها، وإظهار أهمّيّتها بوصفها معتقدات سماويّة غير مشتركة مع آليّة الطّقوس الوثنيّة.

ومن أشهر هذه الحضارات: الحضارة المصريّة القديمة، وارتباط أسطورة إيزيس وأوزوريس بين أبناء حضارتها، وحضارة بلاد ما بين النّهرين، والحضارة اليونانيّة، والرّومانيّة، والفارسيّة، والصّينيّة، والهنديّة (عربيد، 2017، ص13)، ومن أمثلتها أسطورة إيزيس وأوزوريس من مصر القديمة، وأسطورة هرقل من اليونان، وأسطورة "راما" من الهند.

3.3 الحضارة المصريّة وعلم الأساطير

الأساطير الفرعونيّة هي قصص مقدّسة آمن بها المصريّ القديم، والتي تميّزت بعمقها الفلسفيّ؛ فقد كانت الأساطير في تلك الفترة بمنزلة علم يُدرس مع التّسليم بمحتوياته.

لقد استخدم المصريّ القديم الشّخصيّات الأسطوريّة، مثل: الآلهة أو أنصاف الآلهة، أمّا البشر، فكانت عبارة عن عناصر مكمّلة داخل أحداث الأسطورة ليس أكثر(Pinch,2018, p23) .

ومن أشهر الأساطير الفرعونيّة: أسطورة إيزيس وأوزوريس، وأسطورة ستْ وحورس، وأسطورة خلق الكون، وخلق الأرض، وقرص الشمس المجنح، وخلق البشر والقمر، وتأليه البشر، ودمار البشر، والبعث والحساب، والنّداهة، وغيرها من الأساطير الأخرى (عكاشة، 1999، ص175)، ومن الجدير بالذّكر ـ هنا ـ القول: إنّ هذه الأساطير تعكس ـ بالضّرورة ـ المعتقدات والمفاهيم الرّئيسة في الحضارة الفرعونيّة، مثل الحياة والموت، والبعث، والمفاهيم المتعلّقة بالكون والآلهة.

وارتبطت الرّموز بالأساطير في الحضارة المصريّة القديمة؛ فقد نظر المصريّ القديم إلى الظّواهر الكونيّة الطّبيعيّة فوجدها ثابتة ودائمة ومستمرّة باستمرار الزّمن؛ لذا استخدم الأساطير من أجل تفسير الرّموز المعبّرة عن تلك الظّواهر الكونيّة(عكاشة، 1999، ص177)، وهذا يؤكد العلاقة الوثيقة بين الرّموز والأساطير في الحضارة المصريّة القديمة، إذ استخدم المصريّون القدماء الأساطير لتفسير الظّواهر الكونيّة المستمرّة التي رأوها ثابتة في الطّبيعة، ويعكس هذا التّوجّه عمق فهم المصريّ القديم للرّموز كوسيلة للتّعبير عن القوى الكونيّة والمفاهيم الرّوحيّة، وهو ما جعل الأساطير أداة مهمّة لفهم الكون وتنظيم معتقداتهم حول الحياة، والآلهة، والطّبيعة.

3.4 الحضارة الصّينيّة وعلم الأساطير

الأساطير الصّينيّة هي واحدة من أشهر الأساطير في الحضارات القديمة، ويعود ذلك إلى قدم نشأتها وتعدادها السّكانيّ الكبير الذي ساعد في انتشار هذه الأساطير ورواجها حتّى وقتنا الحاليّ.

وتتّسم الأساطير الصّينيّة بالغرابة، فهي تركز على الأشخاص أكثر من الأماكن؛ لذلك اتّسمت بالمبالغة (Shan ، 2016، ص75)، ويعكس هذا أسلوبًا فريدًا في الأساطير الصّينيّة، فتتجسّد الفضائل والصّفات الخارقة عبر شخصيّات رمزيّة تُضفى عليها قدرات غير عاديّة؛ ما يعزّز تأثيرها في الثّقافة الصّينيّة، ويضفي على هذه القصص طابعًا خياليًّا يرتبط بالقيم والمعتقدات الاجتماعيّة.

لقد نُقلت الأساطير الصّينيّة عن قوميّة الهان، والتي تكوّن ما يقرب من 92% من شعب الصّين(Shan شان، 2016، ص81)؛ فالهدف منها هو تأسيس الثّقافة والدّولة الصّينيّة، كما اعتقد آخرون أنّ هذه الأساطير هي بمنزلة تسجيل حقيقيّ للتّاريخ الصّينيّ؛ لذا نجد أنّ الأساطير الصّينيّة تضمّ ـ في محتواها ـ ما هو تاريخيّ، والآخر ما هو أسطوريّ.

ومن أشهر الأساطير الصّينيّة التي عُرفت عبر التّاريخ: أسطورة "بان قو" الذي يفصل السّماء عن الأرض، والتي كانت تشير إلى الفضاء في صورة بيضة كبيرة، تحتوي في داخلها على ظلام، ثمّ ظهر في داخل هذه البيضة بطل يُسمى "بان قو" الذي استطاع فصل السّماء عن الأرض، وقد تمّ ذلك بعد استيقاظه من النّوم بعد مرور 18 ألف سنة ليفصل قشرة البيضة التي كانت ملفوفة حول جسده ليتخلّص من الظّلام، فانشقت البيضة مكوّنة السّماء، وسقطت موادّ الثّقيلة مكوّنة الأرض (Jordan, 2004, p54).

وهناك أساطير أخرى، مثل: أسطورة "ني وا" تخلق البشر، و"ني وا" ترفع السّماء، و"فو شي" وثقب الخشب لإشعال النّار، وآلهة "تشانغ أ" التي هربت إلى القمر، والإمبراطور الأصفر "هوانغ دي" و"قون ويوي" يروضان الأنهار، وأسطورة الجبال الخمسة، و"كوا فو" يلاحق الشّمس، وشكر إله الموقد، وأسطورة أبناء التّنّين، وغيرها من الأساطير الأخرى التي تعكس لنا التّاريخ الصّينيّ القديم وثقافة شعبه.

3.5 اللغة والأسطورة

تعدّ اللغة أداة العقل الأولى؛ لذا فهي تمثّل ميل الإنسان إلى الأسطورة وصناعتها، فاللغة هي بمنزلة ترميز للفكر، كما أنّ عمليّة التّصوّر تبلغ أوجها في التّعبير الرّمزيّ.

فإذا نظرنا للعقل، فإنّنا سنجد أنّه يشكّل مفاهيمه باستخدام عدد معيّن من الموضوعات ذات خصائص معيّنة مشتركة، ثم يُحتفظ بالمتشابهات وتفصّل الفوارق والاختلافات، ومن ثم تُشكّل فكرة عامّة عن مجموعة من الموضوعات في الوعي، والتي تُسمى "التّصوّر" أو "عمليّة التّصوّر اللغويّ".

ويمكن الجمع بين التّصوّر اللغويّ والأسطوريّ في مقولة واحدة لتشكيل الفكر المنطقيّ، كما تكمن وظيفة النّسق الأسطوريّ واللغويّ في مقارنة الوظائف وانتقاء بعض الصّفات المشتركة، مع تكثيف التّجارب بالتّركيز على اتّجاه اهتمام الذّات (Schiappa, 2003, p88)، وهذا يجعل الأساطير واللغة وسيلتين لتعميق الفهم المشترك، ما يغني التّجربة الإنسانيّة بتجميع الرّموز والتّجارب تحت بنية معرفيّة شاملة، تعزّز التّفكير المنطقيّ والثّقافيّ.

لذا فيمكننا أن نقول: إنّ الوعي اللغويّ والأسطوريّ هما من العناصر الهامّة لخلق كيان أسطوريّ؛ فالكلمة هي أساس نشأة الكون الأسطوريّة، إلى جانب أهمّيّة كلّ منهما في ارتقاء الفكر من التّجربة المؤقّتة إلى التّصوّرات الباقية، ومن الانطباع الحسّيّ إلى الصّياغة (Eliade, 1954, p67)، وهذا يمنح الفكر عمقًا وامتدادًا يعكس تطوّر التّجربة الإنسانيّة إلى مفاهيم دائمة.

كما أنّه من الضّروريّ عند دراسة علم الأساطير تعلّم لغة الدّولة أو الحضارة صاحبة تلك الأساطير، مثل: تعلّم اللغة المصريّة القديمة عند دراسة الأساطير الفرعونيّة، وتعلّم اللغة الصّينيّة عند الاطّلاع على الأساطير الصّينيّة؛ وذلك بهدف التّعرّف إلى ثقافة الشّعوب القديمة وفكرهم (فضيلة، 2018، ص5)، ففهم اللغة يتيح الاطلاع المباشر على النصوص الأصلية؛ ما يوفر رؤية أدق للثقافة والمفاهيم الفكرية التي شكلت هذه الأساطير، وهذا يسهم في فهم أعمق للرموز والتعابير التي قد تفقد جزءًا من معناها عند ترجمتها، ويعزز القدرة على استيعاب تراث تلك الحضارات بشكل شامل.

3.6 الأساطير واللغة العربيّة

تعني كلمة "الأسطورة" حديثًا: السّطور أو الأخبار القديمة المدوّنة المسطورة (العربيّ، 1984، ص140). وقد آمن العرب ـ أيضًا ـ في عصور ما قبل التّاريخ، بالأساطير التي أُطلق عليها اسم "الأساطير العربيّة"، فعلى سبيل المثال: كانت الكعبة مغطّاة في فترة ما قبل الإسلام بمجموعة من الرّموز لمئات العفاريت والجنّ وأنصاف الآلهة والآلهة (Armstrong,2002, P11) القبليّة، التي كانت تعبّر عن ثقافة الشّرك التي كانت تسود المنطقة في تلك الفترة.

وقد ساعد تعدّد المعتقدات في تلك الفترة على ظهور الأساطير؛ فقد كان هناك أكثر من (360) صنمًا، شكّلت رموزاً للآلهة.

ومن أهمّ هذه الأساطير: الأساطير البابليّة التي كشفت الألواح السّبعة ونقوش السّاميّين الشّماليّين، والتي كانت مصدرا للكشف عن تلك الأساطير ونقلها من جيل لآخر (Black, 2004, p134)، وقد لعبت هذه الأساطير دورًا جوهريًّا في ترسيخ التّراث الثّقافيّ والدّينيّ؛ ما أتاح للشّعوب الحفاظ على معتقداتها وإعادة صياغتها عبر الزّمن.

لقد اشتملت هذه الأساطير على الرّموز الإلهيّة الخاصّة بتلك الفترة، مثل: سيّد الآلهة وكبيرها، اللات، ومناة، وطاغوت، ويعوق، ويغوث، وغيرهم (فضيلة، 2018، ص18). وكذلك على المخلوقات الخارجة كالأرواح من جنّ وعفاريت ومردة، والذين تميّزوا بقدراتهم الخارقة للطّبيعة وتحكّمهم بالبشر وفقًا للاعتقادات القديمة، إلى جانب اشتمالها على الوحوش، مثل: النّسناس، والغول، والبهموت التي كانت تُشبه سمكة كبيرة ذات رأس وحيد القرن أو الفيل، وتستطيع حمل الأرض على ظهرها.

وما زالت حتّى عصرنا الحاليّ تُستخدم عديد من الشّخصيّات الخرافيّة من أجل إخافة الأطفال، كإخافتهم من الغول وغيره من الشّخصيّات، إلى جانب استخدام عديد من الشّخصيّات والكائنات الخرافيّة لتجسيدها في صور حيّة في أفلام الخيال العلميّ (Schulz، 1983، ص66)، وهذا يعكس تأثير الأساطير القديمة في الثقافة المعاصرة، فتسهم هذه الشخصيات في إضفاء طابع خيالي ورمزي في الأدب والسينما، وتعمل أدوات تواصل ثقافي، تشد انتباه الجماهير وتغذي المخيلة؛ ما يبرز الأثر الدائم للأساطير في تشكيل المفاهيم والعوالم الخيالية عبر العصور.

وخلاصة القول: إنّ الحضارة الإنسانيّة هي حضارة زاخرة بملايين الأساطير التي تعبّر عن ثقافة الشّعوب والأمم، وإنّ لكل أمّة طريقة تناولها الخاصّة للأسطورة، إلى جانب الدور الفعّال للغة في مجال دراسة علم الأساطير، بوصفها الأداة الرئيسة للاطلاع على الكتب التّاريخيّة والقصص والرّوايات القديمة.

3.7 اللغة وعلم الميتافيزيقيا

الميتافيزيقيا: هي عبارة عن تعبير لاتينيّ يعني "ما وراء الفيزياء" أو "ما يفوق الفيزياء" أو "ما بعد الفيزياء" أو "ما وراء الطّبيعة"(مشرفيّ، د. ت، ص22)، يهتمّ هذا العلم بدراسة الظّواهر والكيانات والموضوعات الخارقة للطّبيعة.

اتّجه علماء الدّين إلى دراسة هذا المجال بهدف استخدامه في مجال اللاهوت والغيب وما إلى ذلك، كما يعدّ علماء الدّين والفلاسفة المتديّنون أنَّ كلّ ما يفوق الطّبيعة هو أصل الطّبيعة ويسبقها في الوجود، إلى جانب وصفه بأنه المتحكّم بالطّبيعة من خلال الكيانات الخارقة للطّبيعة.

ويدّعي هؤلاء أنّ هذا العلم صادق، وأنّ الكيانات والظّواهر الخارقة للطّبيعة موجودة، نتيجة وجود فجوة في مجال البحث العلميّ أو نقص في تطوّر العلم، التي نتج عنها وجود مسائل ما زالت غير مكتشفة حتّى وقتنا الحاليّ، وهنا يلعب العلم والبحث العلميّ دورًا هامًّا في إثبات حقيقة وجود علم الميتافيزيقيا وكيانه، أم أنّه مجرّد ظواهر لم تُفسّر أسباب حدوثها بعد؟ (مشرفيّ، د. ت، ص28)، وهذا يبرز التّحدّي الذي يواجهه العلم في سعيه المستمرّ لاكتشاف الظّواهر التي تقع خارج نطاق المعرفة الحاليّة، وتفسيرها، ويعكس تفاعل العلم مع الأسئلة الفلسفيّة والاعتقاديّة التي لا تزال مفتوحة.

3.8 مفهوم علم الميتافيزيقيا:

علم الميتافيزيقيا هو علم ما وراء الطّبيعة ؛ يهتمّ بدراسة الأشياء التي لا توجد في الطّبيعة ولا تخضع لقوانينها، أو تلك التي تتجاوز حدود العقل، والتي يعجز العقل أو القوانين عن تفسيرها(نجيب، 1983، ص41)، أي أنّ هذا العلم يتناول دراسة الظّواهر الرّوحيّة والنّفسيّة والظّواهر الغريبة، مثل: الأرواح والجنّ والأشباح والتّخاطر وغيرها (نجيب، 1983، ص45)، وهذا يعكس اهتمام الإنسان في محاولة فهم ما يقع خارج نطاق التّجربة المادّيّة المباشرة، ويُعدّ هذا العلم مجالًا يستكشف الجوانب الغامضة من الوجود، ويعكس فضول الإنسان المستمرّ نحو الماورائيات وما يتعذّر تفسيره بالعلوم التّقليديّة.

3.9 هل الميتافيزيقيا هي الأسطورة؟

ثمّة من يدّعي أنّ الميتافيزيقيا هي الأسطورة، ويرجع السّبب في ادّعائهم هذا إلى كونها تتناول دراسة أشياء سامية وغير عاديّة مخالفة للواقع، ولكن في الحقيقة فإنّ الميتافيزيقيا ليست هي الأسطورة، كما أنّ الأسطورة ليست ذات بنية ميتافيزيقيّة؛ فعلم الميتافيزيقيا يتناول دراسة طبيعيّة لعالم ما وراء الطّبيعة؛ أي أنّه يتناول دراسة العالم الخفيّ وراء العالم الظّاهر، والذي قد يكون واقعًا حاضرًا لم يُكتشف بعد، بواسطة العلم (Eagleton, 2000, p74)، وبهذا يمكننا القول: إنّ الميتافيزيقيا ليست هي الأسطورة، بالرغم من أنّ كلًّا منهما يتعامل مع قضايا غير عاديّة تتجاوز الواقع الظّاهر، فبينما تركّز الأسطورة على سرد قصص رمزيّة وتفسيريّة للعالم، وتهتمّ الميتافيزيقيا بدراسة الظّواهر الماورائيّة بشكل فلسفيّ وعلميّ، محاولة فهم العالم الخفيّ الذي قد يكون موجودًا ولكنّه لم يُكتشف بعد؛ لذا فإنّ الميتافيزيقيا تسعى لفهم العوالم غير المرئيّة، بينما تظلّ الأسطورة أكثر ارتباطًا بالرّمز الثّقافيّ والدّينيّ.

3.10 اللغة وعلم الميتافزيقيا (الماورائيّات)

تعدّ اللغة وسيلة لنقل الأفكار والتّعبير عنها (Heidegger ، 2015، ص10)، إلى جانب دورها في دراسة موضوعات المعرفة بنيويًّا ونظريًّا ومنهجيًّا بوصفها أداة للتّدوين اللغويّ التّوثيقيّ، وكذلك في تدوين دلالة الصّوت المنطوق وأصوات النّوتة المنطوقة (بدر، 2010، ص67)، فلا تقتصر وظيفتها على تسجيل النّصوص والمعلومات، فتتيح اللغة ـ بذلك ـ بنية منهجيّة لفهم الأصوات وتوثيقها، سواء في اللغات أو الموسيقى، وهذا يسهم في حفظ المعرفة ونقلها عبر الأجيال.

والميتافيزيقيا أو (الماورائيّات)، أو ما يُسمّى بعلم ما وراء الطّبيعة، هو أحد فروع الفلسفة التي تهتمّ بدراسة الظّواهر فوق الطّبيعيّة التي لا يمكن الوصول إليها بالمنطق؛ فهو يهدف إلى تقديم وصف منظّم للعالم والمبادئ التي تحكمه، كما أنّه يعتمد

على أنماط تحليليّة، تعتمد ـ بدورها ـ على المنطق الخالص في فهم ظاهرة ليست بالضّرورة أن تكون منطقيّة، كما يهتمّ هذا العلم بدراسة بعض المفاهيم الأساسيّة، مثل: السّببيّة، والهويّة، والتّغيير، والمتفرّدات، والعقل، والجسد، وملكات الإنسان بشكل عامّ، إلى جانب الظّواهر التي تندرج تحت قائمة الظّواهر غير المفهومة؛ لذا تتطلّب دراسة مجالات هذا العلم ومفاهيمه إلى استخدام اللغة بوصفها أداة أساسيّة، وفيما يلي سنوضّح مجموعة من العناصر التي توضّح العلاقة بين كلّ من اللغة ودراسة علم الميتافيزيقيا (الماجديّ، 2014، ص75 وما بعدها)، إذ تتطلّب دراسة هذه المفاهيم استخدام اللغة بوصفها أداة أساسيّة، تسهم اللغة في تشكيل العلاقة بين الفكر والظّواهر الميتافيزيقيّة الأخرى وتوضيحها.

ويبحث علم الميتافيزيقيا في معرفة الحقائق وواجب الوجود والمثال بوصفها مكوّنا نظامًا واعيًا أعلى من نظام الوقائع ومتضمّنة عِلَّة وجود هذا النّظام، كما أنّها تستهدف الوجود الحقيقيّ الذي لا يظهره الواقع المحسوس (فتحي، د. ت، ص155)، فالميتافيزيقا تتناول التّساؤلات الوجوديّة العميقة التي تتجاوز ما تراه الحواسّ، فتركّز على فهم الحقائق الجوهريّة والمبادئ الأساسيّة التي تشكّل نظام الوجود.

3.11 اللغة وحضور الميتافيزيقيا

يتمثّل حضور الميتافيزيقيا بالنّسبة إلى اللغة، في طرح الظّواهر الخارجة عن منطق سير الأمور بالطّريقة التّقليديّة، ودراستها، وكذلك في وصفها وصفًا دقيقًا، من أجل الخروج بتصوُّر يقبله العقل، أو حتّى إذا كان الأمر مقتصرًا على طرح الظّاهرة في محاولةٍ لإيجادِ تفسير لها.

وفي إطار ما سبق، فمن المهمّ فهم دور اللغة وما تمثّله من منطق الحضور الخاصّ بالميتافيزيقيا؛ وذلك لأنّ اللغة تعدّ الوسيلة المستخدمة لتجسيد مرتكز متين لهذا العلم، والذي يعبّر عن ذاته باستخدام اللغة لتأكيد مركزيّة الحضور في جميع الأحوال.

فاللغة هي العنصر الواصف، وهي التي يمكننا ـ من خلالها ـ التّعبير عن كلّ ما يندرج تحت قائمة (ما وراء الطّبيعة) بوصف الفعل والممارسة والتّفكير والتّسمية والوصف من أجل إنتاج القيمة الأخلاقيّة (Gabry ، 2017، ص35-36)، فمن خلال اللغة، يتمكّن الإنسان من نقل تجارب متعلّقة بالقيم الأخلاقيّة والفكريّة وتوصيفها؛ ما يسهم في بناء مفهوم شامل للوجود والقيم التي تحكمه، وبذلك تصبح اللغة أداة أساسيّة لخلق وعي جماعيّ وفرديّ بالقيم التي تحدّد السّلوكيّات والمعتقدات في المجتمع.

أمّا بالنّسبة لمصطلح ميتافيزيقيا الحضور، فهي عبارة عن حركة فكريّة بدأت مع فلاسفة اليونان بهدف الانتقال من لحظة الميتافيزيقيا إلى لحظة الحضور، أو بمعنى آخر: كيفيّة تحويل الفكرة الميتافيزيقيّة للوجود كما هو بذاته إلى فكرة الحضور المطلق(فرحة، 2016، ص23) ، وقد بلغت هذه الفكرة ذروتها على يد (Hegel) الذي اعتمد على ثلاث نقاط أساسية لطرح فكرته هي: وصف الحدس على أنّه هو الأساس (الأبستمولوجيّ) للوضعيّة الصّادقة، وأنّ المجال المتعالي هو مجال الوجود، إلى جانب فكرة أنّ الوجود الذي يعطي ذاته في الحدس هو لحظة (إبستمولوجيّة)؛ أي أنّ الوجود هو الحضور المطلق ولحظة ميتافيزيقيّة في الوقت ذاته (فرحة، 2016، ص24)، وهنا يربط هيغل الوجود بمعرفة الذّات في اللحظة الحاضرة، وهذه الرّؤية تتجاوز الفهم التّقليديّ للوجود؛ لتكشف عن حقيقة أعمق، تجعل من الحضور المطلق تفاعلًا بين العقل والواقع، ما يفتح آفاقًا لفهم أعمق لطبيعة الحقيقة والوجود.

3.12 اللغة والميتافيزيقيا والتّفكير

هناك من يعتقد أنّ الخلفيّة الفكريّة للمذهب الميتافيزيقيّ الأدبيّ قائمة على العقائد الدّينيّة النّصرانيّة، وذلك بسبب عجز الإنسان عن فهم الأمور الغيبيّة في الحياة، ما دفعهم إلى التّعبير عن جميع الظّواهر الغيبيّة باستخدام الميتافيزيقيا، مثل: التّعبير عن الرّوح، والحياة، والقدر، والموت، وما يشابهها (راغب، 1984، ص87)، هذا التّأطير يعكس محاولات الأدب والفكر لفهم المجهول والغيبيّات، ويشير إلى أنّ الميتافيزيقا ليست مجرّد نظريّات عقليّة، بل هي تعبير عن التّوق الإنسانيّ إلى تفسير ما يتجاوز الإدراك الحسّيّ والمادّيّ.

ويُستخدم مصطلح الميتافيزيقيا لنقل الأفكار والنّظريّات، مثل: التّعرّف إلى الأنواع الحقيقيّة للمخلوقات وطبيعتها، والتّعرّف إلى ماهيّة المفاهيم واللغة المستخدمة للتّفكير، والتّحدث حول هذه المخلوقات، أو الكتابة عنها.

ويمكننا أن نعدّ الميتافيزيقيا المحفّز الأساسيّ داخل الطّبيعة البشريّة، والذي يهدف إلى معرفة طبيعة الكون وفهمه، الكون الذي نمضي داخله ونتعرّف إلى ما فيه حتّى نصل إلى نهايتنا المحتومة، ويتمّ ذلك باستخدام لغة التّفكير في جميع الظّواهر التي تحدث داخل هذا الإطار الكونيّ (فاضل، 2014، ص29)، فالميتافيزيقا تمثّل المحفّز الأساسيّ في الطّبيعة البشريّة، فهي تسعى إلى تقديم إجابات عن الأسئلة الكبرى المتعلّقة بوجودنا ومصيرنا في هذا الكون، من خلال التّأمّل في الظّواهر الكونيّة باستخدام لغة التّفكير.

3.13 التّحليل اللغويّ والميتافيزيقيا

تلعب اللغة دورًا هامًّا في التّعرّف إلى كلّ ما يدور داخل الطّبيعة، ما يعدّ بمنزلة المحور الأساسيّ لعلم الميتافيزيقيا؛ فالجملة لها دورها في وصف الأشياء والتّعبير عنها، مثل: إذا أردنا التّعبير عن التّفّاحة، فإنّنا يمكن أن نقول: إنّ التّفّاحة حمراء، أي إنّ التّفّاح هو الشّيء الأحمر اللون، بينما يمكن أن يصفه آخرون بوصف مذاقه وليس لونه.

وهنا يأتي دور الجملة ومعناها في عمليّة وصف الظّواهر الكونيّة التي تهتمّ الميتافيزيقيا بدراستها وإبرازها؛ أي إنّه يمكن استخدام عدد من الجمل لوصف موضوع أو ظاهرة أو شيء ما داخل علم الميتافيزيقيا (Kattsoff,1965) ما يساعد على

فهم أعمق لما وراء الظّواهر الملموسة، وهذا الاستخدام المتقن للغة يتيح للفكر الميتافيزيقيّ التّعبير عن الأفكار المجرّدة والغامضة التي تتجاوز حدود الإدراك الحسّيّ.
وعلى جانب آخر، لعبت اللغة دورًا هامًّا في دراسة الطّرق التي توسّع بها نطاق الميتافيزيقيا بمرور الوقت ومناقشتها؛ فقد عُرفت الميتافيزيقيا قديمًا بكونها علمًا مثلها مثل علم الكيمياء والتّنجيم، فهي تهتمّ بدراسة الأسباب الأولى للأشياء أو دراسة الثّوابت الكونيّة أو الأشياء التي لا تتغيّر، ولكن سرعان ما تغيّر هذا المفهوم (Stanford, 2014, P12) خاصّة بعد نفي أحد الفلاسفة ـ في دراسة أجراها ـ وجود أشياء ثابتة لا تتغيّر في هذا الكون داخل هذا العلم، الذي وصف هذا العلم بصورة أكثر شموليّة وجعله العلم الذي يهتمّ بدراسة كلّ ما وراء الطّبيعة من ظواهر وأشياء وكائنات وغيرها (Stanford, 2014, P15) وهذا يصف الميتافيزيقا بوصفهاعلما شاملا، يعكس سعيه لفهم الوجود في أبعاده المتعدّدة، سواء أكانت متغيّرة أم غيبيّة؛ ما يفتح آفاقًا واسعة للتّأمّل في طبيعة الكون وما وراءه.

3.14 الشّعر الميتافيزيقيّ

كما ذكرنا سابقًا، اتّجه الإنسان إلى التّعبير عن مختلف الظّواهر الغيبيّة باستخدام الميتافيزيقيا بسبب عجزه عن فهم بعض الأمور الغيبيّة في الحياة، وقد عبّر عن ذلك باستخدام الشّعر والرّواية والمسرحيّة والأساطير؛ لكي يتمكن الإنسان فهم هذه الظّواهر بسهولة؛ أي إنّ الشّعر ـ هنا ـ محاولة لتفسير الظّواهر الميتافيزيقيّة بأسلوب تجسيديّ لجسر الهوة بينها وبين الظّواهر الطّبيعيّة، مثل: تشبيه الحبّ بعلم التّجميع، وتشبيه الرّوح بقطرة الذّلّ (راغب، 1984، ص118)، فهو يعمل على تجسيد المفاهيم المعقّدة كالحبّ والرّوح من خلال أساليب ملموسة، تتيح للإنسان التّفاعل مع ما وراء الطّبيعة بشكل أعمق وأوضح.
وقد عدّ الإنسان الشّعر أفضل أداة للتّعبير عن الدّلالات الدّينيّة والأخلاقيّة الكامنة وراء القوى الميتافيزيقيّة؛ وذلك باستخدام قوى التّفكير والتّأمّل الموجودة لدى جميع البشر، من أجل نقل الأفكار العميقة بأسلوب سهل وبسيط وجميل يفهمه جميع البشر (راغب، 1984، ص120)، فمن خلال الشّعر، يستطيع الإنسان توظيف قوى التّفكير والتّأمّل المشتركة بين جميع البشر لنقل مفاهيم غيبيّة وروحيّة بطرق مرنة يسهل فهمها، ما يجعل من الشّعر وسيلة فعّالة لربط الأبعاد الميتافيزيقيّة بحياة النّاس اليوميّة.
ولقد تأثّر الأدب العربيّ فيما بعد بالأدب الإنجليزيّ؛ فقد أدخل بعض الشّعراء العرب الشّعر الميتافيزيقيّ للأدب العربيّ، ومن أبرز هؤلاء الشّعراء: محمود درويش في قصيدته "الجداريّة"، وصلاح عبد الصّبور في قصيدته "حواريّة الموت"، وغيرهم من الأدباء والشّعراء الآخرين (مشهور، 2017، ص18)، فمن خلال هذه الأعمال، دخل الشّعر الميتافيزيقيّ إلى الأدب العربيّ؛ ليعكس تأثير الفكر الغربيّ، ويُعبّر عن الأسئلة الوجوديّة والرّوحانيّة بطريقة مبتكرة ومعاصرة.

4. نتائج الدراسة

أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج التي تسلط الضوء على العلاقة المعقدة بين اللغة والأساطير والميتافيزيقيا، ودورها في تشكيل الفكر الإنساني وتطوره عبر العصور. وجاءت أبرز النتائج على النحو الآتي:

1-اللغة أداة لصياغة الأساطير ونقلها بين الأجيال:

أثبتت الدراسة أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي عنصر جوهري في تكوين الأساطير وصياغتها، فهي تسهم في تحويل الأفكار والتجارب الإنسانية إلى روايات رمزية، تعكس المعتقدات والقيم الثقافية. ويظهر هذا الدور من خلال استخدام اللغة في السرد القصصي والأساليب البلاغية التي تعزز البنية الرمزية للأسطورة، ما يجعلها قابلة للفهم والنقل عبر العصور المختلفة.

2-دور اللغة في التعبير عن المفاهيم الميتافيزيقية:

أظهرت النتائج أن اللغة تلعب دورًا أساسيًا في صياغة المفاهيم الميتافيزيقية التي تتناول قضايا الوجود والماورائيات. فاللغة ـ من خلال دلالاتها الرمزية وتجريدها المفاهيمي ـ تساعد في التعبير عن التصورات التي تتجاوز الإدراك الحسي المباشر، مثل مفاهيم الروح، والخلود، والقوى ما وراء الطبيعة. كما أن اللغة الفلسفية تطورت إلى جانب هذه المفاهيم لتوفير أدوات تحليلية، تسهم في فهمها وتفسيرها.

3-العلاقة التكاملية بين الأساطير والميتافيزيقيا من خلال اللغة:

أوضحت الدراسة أن هناك تكاملًا وثيقًا بين الفكر الأسطوري والفكر الميتافيزيقي، فتعمل اللغة جسرا يربط بين المجالين. فالأساطير كثيرًا ما تحتوي على تفسيرات ميتافيزيقية للعالم، كما أن الميتافيزيقا توظف الرموز والتصورات الأسطورية في التعبير عن القضايا الفلسفية العميقة. وقد أسهمت اللغة في هذا التداخل من خلال استخدام الاستعارات والمفاهيم الرمزية التي تسهم في تقريب الماورائيات إلى الفهم الإنساني.

4-تأثير التطور اللغوي في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا:

كشفت الدراسة عن وجود علاقة ديناميكية بين تطور اللغة وتطور المفاهيم الأسطورية والميتافيزيقية. فالتغيرات اللغوية عبر الزمن تؤدي إلى إعادة تشكيل الأساطير وتحولات في فهم القضايا الميتافيزيقية. فعلى سبيل المثال، تغير معاني بعض الكلمات والمفاهيم اللغوية أدى إلى تطورات في تفسير الأساطير القديمة، ما يعكس التفاعل المستمر بين تطور الفكر الإنساني واللغة.

5-اللغة وسيلة لحفظ الأساطير والميتافيزيقيا واستمرارها:
أكدت النتائج أن اللغة ليست أداة للتعبير عن الأساطير والمفاهيم الميتافيزيقية فقط، بل هي ـ أيضًا ـ وسيلة لحفظها وتوثيقها، ما يضمن انتقالها عبر الأجيال. فقد لعبت اللغة الشفوية في المجتمعات التقليدية دورًا رئيسًا في نقل الأساطير، بينما ساعد التدوين والكتابة في توثيقها والحفاظ عليها، ما أتاح تحليلها وإعادة تفسيرها في سياقات ثقافية مختلفة.

5. الخاتمة والتوصيات

في ختام هذا البحث، نجد أن العلاقة بين اللغة والفكر الإنساني أعمق مما قد يبدو للوهلة الأولى. فقد أظهرت الدراسة أن اللغة تتجاوز دورها التقليدي بوصفها وسيلة للتواصل، لتصبح أداة فعالة في التعبير عن الأفكار الرمزية والمعاني الماورائية، ما يفتح آفاقًا واسعة لفهم أعمق للأساطير والمفاهيم الميتافيزيقية. هذه العلاقة المتينة بين اللغة والفكر تجعل من اللغة وسيلة أساسية لصياغة الرؤى الفلسفية والخيالية التي تعبّر عن محاولات الإنسان لفهم الوجود والكون.
كما أظهر البحث أن اللغة تلعب دورًا حيويًا في بناء السرد الأسطوري، فهي التي تصوغ الرموز والمعاني العميقة التي تعبر عن التجارب الإنسانية المشتركة، وتترجم الأسئلة الفلسفية التي تتجاوز الإدراك الحسي المباشر. هذا الدور يتضح بشكل خاص في الأساطير التي تستخدم الرموز والقصص لنقل تصورات الإنسان عن الخلق والوجود والحياة بعد الموت، ما يجعل اللغة وسيلة أساسية لبناء الفهم الإنساني للمجهول وما وراء الواقع المحسوس. وفيما يتعلق بالميتافيزيقا، فإن اللغة هي التي تمكّن الفلاسفة من التأمل في المفاهيم الوجودية، واستخدامها في محاولة تفسير أسرار الكون والأسئلة المتعلقة بالوجود.
ختامًا، فيمكن القول: إن اللغة تظل واحدة من أهم أدوات الإنسان في السعي لفهم ذاته والكون من حوله. فهي الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتوثيق تأملاته وتجاربه وأساطيره، لتصبح بذلك جزءًا لا يتجزأ من مسيرته في البحث عن المعنى. إن العلاقة بين اللغة والفكر هي علاقة متشابكة ومعقدة، تجعل من دراسة اللغة مدخلًا لفهم أعمق للفكر الإنساني والتصورات الفلسفية والرمزية التي تشكل جزءًا كبيرًا من تاريخ البشرية.
وفي ضوء هذه النتائج، يوصي البحث بمجموعة من الخطوات لتعميق الفهم في هذا المجال وتشجيع التعاون بين المجالات اللغويات والفلسفة:
أولًا: هناك حاجة لإجراء مزيد من الدراسات التي تستكشف كيفية تأثير اللغة في تشكيل الأفكار الميتافيزيقية وتطورها، خصوصًا في ضوء التحولات الفكرية الحديثة.
ثانيًا: يُنصح بدراسة كيفية تأثير التنوع اللغوي في صياغة الأساطير في مختلف الثقافات، وتفسيرها، ويمكن أن تؤدي الفروقات اللغوية إلى تنوع في التفسيرات الرمزية والقصصية.

5.1 توصيات البحث

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها حول العلاقة بين اللغة وتشكيل المفاهيم الميتافيزيقية والأسطورية، تأتي هذه التوصيات لتشجيع المزيد من البحث والتكامل بين اللغة والحقول المعرفية الأخرى، بما يسهم في توسيع فهمنا لدور اللغة في صياغة الفكر الإنساني. لذا، يوصي البحث بإجراء دراسات تحليلية معمقة تستكشف كيفية تأثير اللغة في تشكيل الأفكار الميتافيزيقية وتطورها عبر الزمن، خاصة في ظل التحولات الفكرية الحديثة. كما يُنصح بدراسة تأثير التنوع اللغوي في صياغة الأساطير في مختلف الثقافات، وتفسيرها، ويمكن أن تؤدي الفروقات اللغوية إلى اختلافات في التفسيرات الرمزية والسردية. إلى جانب ذلك، ينبغي إدراج تحليل اللغة ضمن الدراسات الفلسفية المتعلقة بالميتافيزيقيا والأساطير لفهم أعمق لطبيعة المفاهيم المرتبطة بالوجود والواقع. كما توصي الدراسة بتوثيق الأساطير الشعبية ودراستها لغويًا للحفاظ على التراث الثقافي، وزيادة التعاون بين الباحثين في اللغويات والفلسفة لاستكشاف تأثير اللغة في تشكيل المفاهيم الفلسفية والأسطورية، وتطويرها، ما قد يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين اللغة والفكر.

6. المصادر والمراجع

6.1 المراجع العربيّة

بيتولاتشي، .(2018)الميتافيزيقيا الإسلاميّة والعربيّة .ترجمة: هاجر عبيد، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة . https://hekmah.org/
توينبي، أ .(1995) .بحث في التّاريخ (ج1) .ترجمة: طه باقر، مطبعة النّقيض الأهليّة، بغداد، العراق .
حنّون، ع .(2019) .في الأسطورة والأدب العربيّ .دار ميم للنّشر، الجزائر .
ربوح، ب .(2020) .المساءلة النّقديّة لمفهوم الميتافيزيقا في فضاء اللغة عند مارتن هايدغر .المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، الظعاين، قطر .
راغب، ن .(1984) .المذاهب الأدبيّة من الكلاسيكيّة إلى العبثيّة .المكتبة الثّقافيّة، القاهرة، مصر .
راوس، أ .(1968) .التّاريخ أثره وفائدته .ترجمة: مجد الدّين حفنيّ ناصف، مؤسّسة سجّل العرب، القاهرة، مصر .
زيدان، ي .(2005) .الأسطورة واللغة: التّأثيرات المتبادلة .دار المعرفة، القاهرة، مصر .

سعيد، إ .(1999) .الأسطورة وقراءة النّصوص الأدبيّة: المنظور اللغويّ .دار النهضة العربية، بيروت، لبنان .
شولز، ر .(1983) .الثّقافة الأجنبيّة جذور القصّة العلميّة .ترجمة: عبد الرّحمن محمّد رضا، مجلة الثّقافة، القاهرة، مصر .
عجلونة، م .(2005) .موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالتها .دار محمّد عليّ للنّشر، صفاقس، تونس .
عربيد، آ .(2021) .الأساطير والطّقوس المتشابهة في الحضارات القديمة والأديان .مجلة سطور، العدد 2، الدوحة، قطر .
عكاشة، ث .(1990) .الفنّ المصريّ القديم، (الجزء الأوّل) .الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، القاهرة، مصر .
الكنديّ، ي .(1953) .الرّسائل الفلسفيّة، الفلسفة الأولى .طبعة عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
كلماس، ف .(1978) .اللغة والاقتصاد .ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت .
الماجديّ، خ .(2014) .كشف الحلقة المفقودة بين أديان التّعدّد والتّوحيد .المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب .
مشرفيّ، ن .(2023) .ميتافيزيقا أعداد العدّ: بحث استقصائيّ حول منظومة أعداد العدّ وعلاقتها بالإعجاز الخلقيّ .جامعة محمّد الخامس، مراكش، المغرب .
مشهور، ح .(2017) .الميتافيزيقيا الشّعريّة: فلسفة ما ورائيّات النّصّ والطّبيعة .الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان .
نجم، س .(2010) .أسطورة الأمس وظائف اجتماعيّة وعلميّة .مجلة البيان، أبوظبي، الإمارات /https://www.albayan.ae .
نجيب، ز .(1983) .موقف من الميتافيزيقا (ط2) .دار الشّروق، عمان، الأردن .
نحّاس، ج .(2006) .أساطير الخصب النّباتيّ في حضارات الشّرق الأدنى الآسيويّ .منشورات وزارة الثّقافة السّوريّة .
هايدغر، م .(2015) .مدخل إلى الميتافيزيقا .دار الفارابيّ، بيروت، لبنان .
تقيّ فاضل، م .(2014) .مفهوم العقل بين الفلسفة والدّين: قراءة نقديّة مقارنة .مركز البحوث المعاصر، بيروت، لبنان .
كاسيرر، إ .(2009) .اللغة والأسطورة .ترجمة: سعيد الغانميّ، منشورات دار السّياحة والثّقافة، مركز أبوظبي لحماية اللغة العربيّة، الإمارات.

6.2 رومنة المراجع العربية

Ajīna, M. (2005). Mawsūʿat asāṭīr al-ʿArab ʿan al-Jāhiliyya wa-dalālatihā. Dār Muḥammad ʿAlī lil-Nashr.
ʿArbīd, Ā. (2021). Al-asāṭīr wa-al-ṭuqūs al-mutashābiha fī al-ḥaḍārāt al-qadīma wa-al-adyān. Majallat Sutur, (2).
ʿUkāsha, T. (1990). Al-fann al-Miṣrī al-qadīm (al-juzʾ al-awwal). Al-Hayʾa al-ʿĀmma al-Miṣriyya lil-Kitāb.
Al-Hajj Hasan, H. (1998). Al-ustūra ʿinda al-ʿArab fi al-Jāhiliyya. Al-Muʾassasa al-Jāmiʿiyya lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.
Al-Kindī, Y. (1953). Al-risāʾil al-falsafiyya, al-falsafa al-ūlā (ʿA. H. Abū Rīda, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.
Al-Mājidī, Kh. (2014). Kashf al-ḥalqa al-mafqūda bayn adyān al-taʿaddud wa-al-tawḥīd. Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.
Bitulātchī. (2018). Al-mītāfīzīqā al-islāmiyya wa-al-ʿarabiyya (H. ʿUbayd, Trans.). Mawsūʿat Stānfūrd lil-Falsafa, Majallat Ḥikma. https://hekmah.org/
Hāydīghir, M. (2015). Madkhal ilā al-mītāfīzīqā. Dār al-Fārābī.
Ḥannūn, ʿA. (2019). Fi al-ustūra wa-al-adab al-ʿArabī. Dār Mīm lil-Nashr.
Kāsīrr, I. (2009). Al-lugha wa-al-ustūra (S. al-Ghānmī, Trans.). Manshūrāt Dār al-Siyāḥa wa-al-Thaqāfa, Markaz Abū Ẓabī li-Ḥimāyat al-Lugha al-ʿArabiyya.
Kilmas, F. (1978). Al-lugha wa-al-iqtiṣād (A. ʿAwaḍ, Trans.). ʿĀlam al-Maʿrifa.
Mashhūr, Ḥ. (2017). Al-mītāfīzīqā al-shiʿriyya: Falsafat mā warāʾiyyāt al-naṣṣ wa-al-ṭabīʿa. Al-Dār al-ʿArabiyya lil-ʿUlūm Nāshirūn.
Mushrifī, N. (2023). Mītāfīzīqā aʿdād al-ʿadd: Baḥth istiqṣāʾī ḥawl manẓūmat aʿdād al-ʿadd wa-ʿalāqatihā bi-al-iʿjāz al-khalqī. Jāmiʿat Muḥammad al-Khāmis.
Najīb, Z. (1983). Mawqif min al-mītāfīzīqā (2nd ed.). Dār al-Shurūq.
Najm, S. (2010). Ustūrat al-ams waẓāʾif ijtimāʿiyya wa-ʿilmiyya. Majallat al-Bayān. https://www.albayan.ae/
Naḥḥās, J. (2006). Asāṭīr al-khaṣb al-nabātī fī ḥaḍārāt al-sharq al-adnā al-āsiyāwī. Manshūrāt Wizārat al-Thaqāfa al-Sūriyya.
Rabūḥ, B. (2020). Al-masāʾala al-naqdiyya li-mafhūm al-mītāfīzīqā fī faḍāʾ al-lugha ʿind Mārṭin Hāydīghir. Al-Markaz al-ʿArabī lil-Abḥāth wa-Dirāsāt al-Siyāsāt.
Rāghib, N. (1984). Al-madhāhib al-adabiyya min al-klāsīkiyya ilā al-ʿabathiyya. Al-Maktaba al-Thaqāfiyya.
Rāwus, A. (1968). Al-tārīkh atharuhu wa-fāʾidatuhu (M. Ḥ. Nāṣif, Trans.). Muʾassasat Sijill al-ʿArab.
Saʿīd, I. (1999). Al-ustūra wa-qirāʾat al-nuṣūṣ al-adabiyya: Al-manẓūr al-lughawī. Dār al-Nahḍa al-ʿArabiyya.

Shūlz, R. (1983). Al-thaqāfa al-ajnabiyya judhūr al-qiṣṣa al-ʿilmiyya (ʿA. M. Riḍā, Trans.). Majallat al-Thaqāfa.
Taqī Fāḍil, M. (2014). Mafhūm al-ʿaql bayn al-falsafa wa-al-dīn: Qirāʾa naqdiyya muqārana. Markaz al-Buḥūth al-Muʿāṣir.
Twīnbi, A. (1995). Baḥth fī al-tārīkh (Vol. 1) (Ṭ. Bāqir, Trans.). Maṭbaʿat al-Naqīḍ al-Ahliyya.
Zaydān, Y. (2005). Al-ustūra wa-al-lugha: Al-taʾthīrāt al-mutabādala. Dār al-Maʿrifa.

6.3 المراجع الأجنبية

Armstrong, K. (2000). Islam: A short history (2nd ed.). Modern Library. (Original work published 2000).
Black, J. (2004). The literature of ancient Sumer (1st ed.). Oxford University Press.
Eagleton, T. (2000). The idea of culture (1st ed.). Blackwell Publishing.
Eliade, M. (1954). The myth of the eternal return: Cosmos and history (1st ed.). Princeton University Press.
Jordan, D. K. (2009). The Chinese world: An introduction to Chinese culture and history (1st ed.). Stanford University Press.
Kattsoff, L. O. (1965). Logic and the nature of reality (Chapter 2). Holt, Rinehart & Winston.
Moltmann, F. (2018). Natural language metaphysics.
Moore, A. W. (2019). Language, world, and limits: Essays in the philosophy of language and metaphysics. Oxford University Press.
Pinch, G. (2004). Egyptian myth: A very short introduction (1st ed.). Oxford University Press.
Research Team from the University of Copenhagen. (2024). Language and myth in prehistory.
Schiappa, E. L. (2003). Myth and thought in ancient Greece (1st ed.). Blackwell Publishing.
Van Inwagen, P., & Sullivan, M. (2014). Metaphysics. Stanford Encyclopedia of Philosophy. https://www.oxfordbibliographies.com/display/document/obo-9780195396577/obo-9780195396577-0217.xml

Language as a Key to Understanding Mythology and Metaphysics: “An Interdisciplinary Study"

Ahmad Al janadbah
Arabic department, Zayed University, UAE
Corresponding Author: Ahmadaljanadbah@gmail.com

Received: 13/1/2025. Revised: 17/2/2025. Accepted: 18/3/2025 DIO:

Abstract
This study aimed to explore the relationship between language, mythology, and metaphysics by examining how language shapes and interprets myths across cultures. It addressed the lack of research linking language with mythology and metaphysics and clarified the role of myths in language development and the transmission of symbolic meanings. The study adopted a descriptive-analytical approach, focusing on Arabic and non-Arabic myths and the evolution of vocabulary and linguistic structures related to mythology. The findings showed that myths and metaphysics play a crucial role in transmitting cultural values and shaping collective identity through language. The study also concluded that myths directly influence language by integrating unique vocabulary and symbolic expressions that reflect abstract ideas, religious beliefs, and philosophies. They are also an essential part of folklore, preserved and transmitted across generations. Finally, the study highlighted the linguistic variations in mythological expressions across cultures, reflecting diverse cultural contexts and interpretations.

***Keywords*:** mythology, metaphysics, philosophy, existence, transcendence, language.